أمى

للأستاذ فريد عين شوكة

لا تلمنى على بكائى وغمى   أىُّ صبر يُعين فى فقد أمى
أى كنز فقدته فى نواها   أى خسر أصابنى ، أىُّ غُرم
أين منى حنانها بُعمد الرو   ح ، وينفى عن خاطرى كل هم؟
أين منى دعاؤها بركات   تتوالى من السماء ، وتهمى؟
أين منى سؤالها عن طعامى   وشرابى ، وعن قيامى ونومى؟
أين منى حنينها للقاءى   إن تغيبتُ ساعةً دون علم؟
أين منى وداعها فى رحيلى   بالأمانى التى تجدد عزمى ؟
أين منى لقاؤها فى إيابى   بالتهاليل ، حين أهتف باسمى ؟
وهى تسعى إلىَّ دون اقتدار   بمحيًّا كأنه بدرُ تِمٍّ !
وعيونٍ تألقَ البشر فيها   كائتلاق السَّنى بأسطع نجم
وفمٍ ينظم التهانىَ حمداً   أننى عدتُ فى أمانٍ وسلم
وتمُدُّ اليمين منها فأطفى   حرَّ قلبى المشوق فى فيض لثمى
ذكرياتٌ فى خاطرى تتهادى   كحبيب الرؤى بأروع حلم !

* * *

أين منى صدق الفداء ، إذا ما   مسنى فى الحياة أيسرُ سُقم؟
تسهر الليلَ وهى حولى وَلهَى   تذرف الدمع فى خفاء وكتم !
فإذا ما انتبهتُ فهى تلاقيـ   ـنى بوجهٍ مستبشرٍ غيرِ جهم
وتروى جوانحى بأمانٍ   عذابٍ ، تنفى ظنونى ووهمى
وتصومُ النهارَ عن كل زادٍ   غيرَ ما يُمسك الذماء ويحمى
ومُناها لو أنها تفتدينى   بالذى يبتغى الفداء وترمى !

* * *

أين منى نفسٌ أسرُّ إليها   فرحتى ، أو شكايتى من مُلِمٍّ ؟
فترى السعد فى هنائى ، وترجو   لىَ فى النُّعميات أوفر قسم
أو تُسرِّى عنى الهمومَ ، فأرضى   بالذى كان من قضاء وحكم
ثم تمضى الأحداث ، والسرخافٍ   فكأنى ألقيته فى خضم

* * *

هيهِ يا إخوتى ... ونحن جميعاً   فى أسىً لافح اللظى مُدلهمّ
كلنا فى فجيعة الأم يطوى   جانبيه على سهامٍ وكلم !
كانت مُترعٌ بما غمرته   من رضاء ومن هناء وغنم
لم يكن بيننا أثيرٌ ، ولكن   متساوون فى الحنانَ الأعمّ
وإذا آثرتْ شقيقاً بعطفٍ   فلسقم ، أو غُربةٍ ، أو عُدمِ
نظمتْنا عِقداً ، وكانت له الخيـ   ـط ، فلم يبدُ مرةً دون نظم
لا يرانا الزمانُ إلا أحبَّا   ء ، تلاقوا على ولاء ورُحم
شركاء فى السعد والبؤس ، أعوا   نا على العيش فى نضال وحزم
كشديد البنيان كنا ، وكانت   أمُّنا للبناء أثبتَ دعم
نبتغى عندها الرضاء ، ونحيا   طوعَ إرشادها على غير رغم
يا إلهى ! هوتْ دعامتنا الكبـ   ـرى ، فهل نستقر من غير هدم ؟
يا إلهى ! ندَّ القِراب عن السيـ   ـف ، فكيف احتماله دون ثلم؟

* * *

يا ذوى قربتى ! عزاءً جميلا   فى مصاب دهى الظهور بقصم
قد حُرمتم نفساً أبرَّ وأحنى   من شقيق لكم وخالٍ وعم
كم أتيتم رحابها ، فلقيتم   كرماً لا يزال كالبحر يطمى
وحناناً من عندها وزكاةً   فى خفاء وفى حياء وبسم
وتبثُّون ما بكم ... فتلاقو   نَ لديها عوناً على كل ظلم

* * *

ويحَ للجارة الوفية ! تبكى   كلما أقبلت فلم تلقَ أمى !
فقدتْ بعدها الوداد المصفَّى   والغياث المرجوَّ فى كل أزم
والفؤاد العطوف يحنو ويأسو   إن رماها كفُّ الزمان بسهم
واللسانَ العفيف لا يلفظ السو   ء ، ولا يستطيل يوماً بشتم !
والحديث اللطيف يقطر كالشهـ   ـدِ ، بريئاً من اغتياب وذمّ !
يالها من فجيعة رزأتها   فى سجايا عظيمةٍ أىّ عُظم!

* * *

أيها الحزن ! لا عدمتُك حتى   تسحق النار فى أتونك عظمى !
أيها الدمع ! لا هجرتك حتى   ينزف القلب فى انسكابك دمى!
أيها الصبر ! لا عرفتك حتى   يستوى فى جوار أمى جسمى!
لا أطيقُ الحياة بعد نواها   آهِ ، يا ليت يومها كان يومى

* * *

يا عوادى الردى فقدتُ رجائى   فهلمّى خذى الحياةَ ... هلمى!

(منوف)   فريد عين شوكة